بغداد حاضرة الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي/ مسببات اختيار موقعها وديمومتها .

أ.د. مها أسعد عبد الحميد طه
الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ
maha.hameed@aliraqia.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٢/١٠ تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٣/٢٥

ملخص البحث
تُعَدُّ موضوعة اختيار (بغداد حاضرة الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي/ مسببات اختيار موقعها وديمومتها) من الظواهر التاريخية المهمة التي ينبغي للباحثين الوقوف عليها، ومن هنا ولأهمية هذه الظاهرة رحتُ أتتبّع الأسباب والدوافع، التي جعلت بغداد تحمل هذه المزايا، وحفّزت الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور باتخاذها عاصمة له، ومن بعده من الخلفاء في الابقاء على حاضرتهم هذه، رغم الانتقال عنها لوقت قصير ولظروف معينة، وقد كانت هناك العديد من الأسباب والدوافع سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها ، ومن هنا تنقّل هذا البحث بين أمهات المصادر التاريخية الأولية والمراجع الحديثة باحثاً ومتقصيّاً أسباب هذه الظاهرة التاريخية، وذلك ليزيد تعلق الأجيال بماضيهم التليد....

الكلمات المفتاحية: بغداد ، دوافع سياسية واقتصادية وعسكرية وصحية .

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

تُعدُّ موضوعة اختيار موضع بغداد، مسبباتها وديمومتها، كونها حاضرة الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي والى يومنا هذا، بحمد الله تعالى وتوفيقه، من الموضوعات ذات السمة العالية أو المرحلة المتطورة في النظرة والعمل لدى القرّاء والباحثين والمتخصصين على حدٍّ سواء.

أهمية البحث : تشكلُ بغداد النواة الحقيقية للحضارة الإنسانية، لما رفدته للأمة العربية الإسلامية من حضارة عريقة وأصيلة .

مشكلة البحث : صواب انتقاء موضعها لتكون حاضرة الدولة العربية الإسلامية على مدار قرون عديدة، ومركز الحضارة الإنسانية التي نمت وترعرعت في أحضانها حتى أينعت للعالمين **(ثمراً جنياً)** في جميع جوانب الحياة المادية والروحية .

حدود الدراسة : ١- الحد الزماني : العصر العباسي الأول .

٢- **الحد المكاني** : أرض العراق .

هيكلية البحث: سيُقسّم هذا البحث، بإذنه تعالى، الى مقدمة ومبحثين زيادة على قائمة تعريفية ببعض الشخصيات التي سيتخللها البحث أو تعليقات مهمة عن بعض الأحداث .

سيتحدث المبحث الأول عن : **هاشمية الكوفة مركزاً لبني العباس قبيل بغداد ،** فيما سيتحدث المبحث الثاني عن **مسببات اختيار موقع بغداد وديمومتها** ، حتى يرث سبحانه وتعالى الأرضَ وما عليها .

بعض المصادر والمراجع التي سيعتمدها البحث : سيعتمد هذا البحث في إعداده على الله تعالى أولاً ومن ثم على العديد من المصادر الأولية المهمة التي تناولت هذا الموضوع ومنها كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) . وكتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)، وكتاب (الفخري في الآداب السلطانية والأمم الإسلامية) لابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). ومن الكتب الجغرافية والبلدانية التي اهتمت بالمدن والقرى والقصبات والمواضع وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين البغدادي (٦٢٦هـ/١٢٢٦م) . وكتاب (البلدان) لابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٢٨٩هـ/ ٩٠٢م)، وغيرها من المصادر الأولية المهتمة بهذا الموضوع .

كما سيعتمد البحث على كتب عديدة لأساتيذنا الأفاضل في التاريخ الإسلامي وهم يحللون الظروف والعوامل والأحداث، ويضيفون في دراساتهم عمقاً جديداً آخراً لما جاء في الكتب القديمة، لموضوعنا قيد الدراسة، ومنها كتاب (تخطيط المدن العربية الإسلامية) للأستاذ الدكتور طاهر مظفر العميد. وكتاب (بغداد) للمستشرق ريجارد كوك، وكتاب (العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية) للأستاذ الدكتور مصطفى عباس الموسوي، وكلها أضافت لبحثنا هذا إضافات ثرّة لا تنضب .

بغداد حاضرة الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي/ مسببات اختيار موقعها وديمومتها .

المبحث الأول : هاشمية الكوفة مركزاً لبني العباس قبيل بغداد

وهاشمية المنصور هذه هاشمية الكوفة، تقع قُبالة مدينة (ابن هبيرة) بينهما عرض الطريق، إلاّ أننّا لا نعلم تحديداً متى انتقل إليها، إلاّ أنَّ الطبري يذكر في تاريخه- أحداث سنة أربعين ومائة- بأن ((خرجَ المنصور حاجّاً فأحرمَ من الحيرة، ثم

رجع بعد ما قضي حجّه إلى المدينة–المنورة-، فتوجّه منها إلى بيت المقدس.... ولمّا قدم أبو جعفر بيت المقدس صلّى في مسجدها، ثم سلك الشام منصرفاً حتى أتى إلى الرقّة فنزلها... ثم شخص منها فسلك الفرات حتى أتى الهاشمية، هاشمية الكوفة)) **(تاريخ الطبري، ٢٠٠٨م، ٣٥٣/٧)** .

أسباب كره المنصور المقام طويلاً في هاشمية الكوفة:

١- كَرِهَ المنصور المقام بهاشمية الكوفة وخاصة بعد ثورة (الراوندية) وهم –على ما يذكر الطبري- جماعة من الناس يقولون يتناسخ الأرواح، ويزعمون أنّ روح آدم (ʊ) قد حلت في عثمان بن نهيك– أحد دعاة الثورة العباسية- وأنَّ ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا ربّنا **(تاريخ الطبري، ٣٥٤/٧، أحداث سنة ١٤١هـ؛ ابن الطقطقا، د.ت.، ص١٦٠-١٦١؛ حسن، ١٩٦٩م، ١٠٥/٢، ٢٥١)** ، ولم يرضَ المنصور عن تصرفاتهم المخالفة لمبادئ الإسلام في الوحدانية وأنكرَ عليهم هذا التأليه المُتعمّد له الذي ينطوي على الإلحاد والفوضى والخراب واقتناص الفرص لقتل الخليفة والوثوب إلى الحكم، لذا لم يرتح المنصور إلى (هاشمية الكوفة) لأنها لم تكنْ منيعةً كما أوضحت فتنة الراوندية، والظاهر أنَّ الخليفة المنصور كان يظنُّ في (الراوندية) الإخلاص في بادئ الأمر، ولكن حينما ظهرت آراؤهم واضحةً جلية، تصدى لهم، منكراً وغاضباً، ونستطيع أن ندرك خطورة هذه الثورة التي انتقلت إلى قصر المنصور (بهاشمية الكوفة) وأن الموت كاد يحدق بالخليفة والسيوف مشهورة من حوله تطلب رأسه لولا مشيئة الله تعالى ثم استبسال القائد (معن بن زائدة الشيباني)* في الذود عنه، لذا آثر الخليفة المنصور في ترك (هاشمية الكوفة)، فقد أدرك ببصيرته النافذة الحكيمة أنّ ثورة الراوندية هي بوابة لسلسلة من الثورات والانتفاضات والحركات الهّدامة هدفها تقويض الحكم العباسي وإرهاقه*.

٢- إضافة إلى الوضع النفسي العام الذي تركه استشهاد (والد محمد النفس الزكية) ومجموعة من أقاربه في سجن الكوفة سنة ١٤٤هـثم قيام ثورة ابنه (محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب) ذو النفس الزكية واستشهاده سنة ١٤٥هـ، ومن بعدها ثورة أخيه (إبراهيم بن عبد الله المحض) في البصرة ومسيرها إلى ظاهر الكوفة لتقوم معركة فاصلة في منطقة (باخمري) والتي انتهت بالقتل والتشريد له ولأعوانه من (آل البيت) في السنة نفسها، ومن ذلك كله أراد الخليفة المنصور أنْ يبني مدينة بعيدة عن القلاقل والاضطرابات يدير منها الدولة العربية الإسلامية بسلام فضلاً عن رغبته في إنشاء مدينة منيعة محصنّة تكون مركزاً آمناً له ولجيشه، وقوةً لحكمه في آنٍ واحد، فشرعَ بعد قرابة عشر سنوات من خلافته بإنشاء مدينته المدورة (بغداد) **(البلاذري، ١٩٨٣م ، ٢٨٥/١ ؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ٧٧٦/٣؛ الدوري، ١٩٩٧م، العصر العباسي الأول، ٩١/٣)**.

ثم أنّ (هاشمية الكوفة) قريبة الموقع من الكوفة العلوية الهوى والتي كان الخليفة المنصور يخشى أهلها حتى قال عنهم: ((أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن.. –وأشار إلى الكوفة- فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا هي بسلم فأسالمها، فرّق الله بيني وبينها....)) **(المسعودي، ١٩٦٤م، ٢٢٦/٣؛ ابن الأثير، ٢٠٠٩م ، ٢٦٢/٥)** فإنّ جوار المنصور من الكوفة ولم يأمنْ أهلها على نفسه فأراد أنْ يبعدَ من جوارهم، ويذكر الطبري أنّه: ((أفسدَ أهل الكوفة جند أمير المؤمنين المنصور فخرج نحو الجبل يرتاد منزلاً)) **(تاريخ الطبري، ٤٧/٨؛ ابن الطقطقا، د.ت. ص١٦١؛ الموسوي، ١٩٨٢م، ص١٣٠)**.

المبحث الثاني :مسببات اختيار موضع بغداد وديمومتها

المطلب الأول : تسمية بغداد وفي أجمل ما قيل عنها

أولاً : تسميتها: قال الخطيب البغدادي في تسمية بغداد: ((كانت بغداد في أيام العجم قرية يجتمع فيها رأس كل سنة التجار، وتقوم بها للفرس سوق عظيمة، فلمّا افتتحها المسلمون بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني غزا سوق بغداد واغتنموا منه ما خفَّ حمله وثقلت قيمته)) **(تاريخ بغداد،١٩٣١م، ١/٧٧-٧٨)**. وقال ياقوت الحموي في معجمه: ((أنَّ بغداد كانت سوقاً يقصدها تجار أهل الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع وكان اسم ملك الصين (بغ) فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا: بغ داد أي: أنّ هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك...)) **(معجم البلدان، د.ت.، ١/١٥٦)** ويقول ياقوت في معجمه أيضاً: ((قال بعض الأعاجم– بأنها- بستان رجل، فباغ: بستان، و داد: أسم رجل أو بستان الله، أما الزوراء: فمدينة المنصور خاصة..)) **(المصدر السابق)**، فسُميَ الجانب الغربي منها (الزوراء) لازورار نهر دجلة عند مروره بها، كما سُمي الجانب الشرقي منها (الروحاء) لانبساط مجرى النهر عنده، وسُميت بغداد بمدينة السلام لأنَّ ((دجلة يقال لها وادي السلام... قلْ مدينة السلام لأنّ الله – تعالى- هو السلام والمدن كلها له...)) **(ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص٢٧٩)** ونحن لا نشك في أنّ المنصور أراد بتسمية مدينته ((بمدينة السلام: السلامة من الأخطار وعدوان أعداء الدولة العباسية على اختلاف نحلهم المذهبية والسياسية وكانت حصناً حصيناً يضمن له ظاهرة السلامة والأمن والأمان)) **(الخطيب البغدادي ، ١/٧٧-٧٨؛ ياقوت ١٥٦؛ كوك ،١٩٦٢م، ج١/٥، ٦؛ العميد، ٤١٦-٤١٨)** .

ثانياً: في أجمل ما قيل عن بغداد:

تعدُّ بغداد – مدينة المنصور المدورة- بحق من مفاخر العرب المسلمين في مجال العمارة والتخطيط، تلك المدينة التي ذكر الخطيب البغدادي، مؤرخها المشهور، أن الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو ابن بحر بن محبوب البصري (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) قال في وصفها ((قد رأيت المدن العظام والمذكورة بالإتقان والإحكام، بالشامات وبلاد الروم، وفي غيرهما من البلدان، فلم أرَ مدينة قط أرفع سمكاً، ولا أجودُ استدارةً، ولا أنبلُ نبلاً، ولا أوسع أبواباً ولا أجود فصيلاً، وهي مدينة أبي جعفر المنصور كأنما صُبَّت في قالب وكأنما أُفرغت إفراغاً)) **(الخطيب البغدادي، ١٩٣١م، ١/٧٧ ؛ ابن الفقيه، ص٣١٤)**، بغداد، جنّة الأرض ومجمع الرافدين، مدينة السلام والإسلام، كعبة العلم والعلماء، حاضرة الدنيا وآحاد الدهر وسيدة البلدان **(ياقوت، د.ت.، ١/١٥٦)** (وأحلامُ الحالمين بليلةٍ وألف ليلة).

المطلب الثاني

عوامل ودوافع اختيار المنصور موضعها

ونحن في بحثنا هذا لسنا بإزاء دراسة بغداد من الناحية التاريخية أو التخطيطية أو العمرانية وما إلى ذلك تلبيةً لرغبة الخلفاء والحكام المسلمين في إقامة العمائر وتشييد المدن التي تحفظ أسماءهم وتبقي على ذكرها، فهي خارجة عن موضوعة بحثنا هذا وهو ((مسببات انتقال مركز الخلافة العباسية في عصرها الأول))، ولذا سيقتصر بحثنا- بإذن الله تعالى- في الوقوف إلى العوامل التي حفزّت الخليفة أبو جعفر المنصور لاختيار موقع بغداد وبنائها والانتقال إليها وهي:

١- العامل السياسي.

٢- العامل العسكري.

٣- العامل الاقتصادي أو التجاري.

٤- العامل الطبيعي والصحي.

أولاً: العامل السياسي:

ظل العراق ذا أهمية بالغة بالنسبة للعباسيين ودولتهم، فقد كانت الكوفة معقلاً لنضالهم السلبي، ومركز بني العباس الأول فأُعلنَ عن قيام الدولة العباسية فيها وبويع (لأبي العباس) أول خلفائها فيها أيضاً وتنّقل في محالٍ عديدة قريبة منها إلى أن استقر وبنى عاصمته الهاشمية(عاصمة أبي العباس) قرب الأنبار، فاستخلفه المنصور وبويع له (بمدينة أبي العباس) نفسها وانتقل الى(الرومية) قرب المدائن وآثر المقام في الحيرة ردحاً من الزمن ورجع إلى هاشمية الكوفة فيغادرها مبتعداً عنها ليشيد عاصمته المدّورة (بغداد). **(ابن الطقطقا، ص١٤٤)**

فلم يكن بوسع المنصور أن يختار غير أرض العراق مركزاً لدولته الشاسعة، فلم تكن أرض الشام ملائمة كحاضرة لبني العباس لأن صدور أهلها تنطوي على حبٍ (لبني أمية) كما أن المدينة المنورة قد ملَّ أهلها الخلافات السياسية بعد النكبات المتلاحقة التي أصابت بعضاً من رجالها وعمَّ الخطر والفوضى أهلها بدءً من مقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان٢سنة (٣٥هـ/٦٥٦م) وانتهاءً إلى ثورة (محمد بن عبد الله بن حسن العلوي) ذو النفس الزكية فالمدينة رغم ما تتمتع به من احترام جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلاّ أنها لم تهدأ من الثورات والقلاقل **(المصدر السابق، ص ١٦١)**.

كما أن موقع بغداد في وسط العراق له كبير الأهمية، فلقد كان من المستحسن في ذلك الوقت إنشاء الحواضر أو العواصم في وسط الدول، لما للوسطية المكانية من مزايا ايجابية متعددة، فالمواصلات البطيئة آنذاك كانت تعرقل تقدم الجيوش في حالة قيام أية ثورة، فضلاً عن أنَّ وجود العاصمة في مكان بعيد، في شمالي الدولة أو جنوبيها تسبب الارتباك في الدولة ونظمها الإدارية، فضلاً عن أنها قد تشجع تمرد المتمردين أو الخارجين عن السلطة **(العميد، ١٩٨٦م، ص٣٤٣-٣٤٤؛ ابن الطقطقا, ص ١٤١، ١٦١؛ كوك، ١٩٦٢م، ص٢٢)**.

ثانياً: العامل العسكري:

أثبتت ثورة الراوندية سنة (١٤١هـ/٧٥٨م) أن (هاشمية الكوفة) لم تكن حصينة، وكان من الواجب على المنصور، خليفة المسلمين وحاكم الدولة الأول أن يحرص على حفظ الأمن لرعيته والسلامة لدولته في أن ينتقل إلى منطقة حصينة منيعة ليقيم عليها مدينة محميّة عظيمة عاصمةً جديدةً له، فتفحّص المنصور موضع بغداد القديم فوجده منطقةً صالحة فقال عنه: ((هذا موضع معسكر صالح)) (الخطيب البغدادي، ١٩٣١م، ٧٧/١) ، وبغداد – كما نعلم- أن الباعث الأهم في بنائها كان هدفاً عسكرياً بدليل عدم وجود المتنزهات والحدائق وأماكن اللهو والتسلية في المدينة المدورة.

وتبرز أهمية موقع بغداد المتميّز، فيما وُصِفت للخليفة (أبو جعفر المنصور) حاضرته الجديدة : ((وأنت بين أنهارٍ لا يصل إليك عدّوكِ، وأنتِ بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلاّ احتاج العبور- فلا يصل إليك عدوّكِ إلاّ على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر أو القنطرة لم يصل إليك عدوكِ، وأنتِ متوسط البصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله...)) (تاريخ الطبري، ٢٠٠٨م، ٤٩/٨) والتدبير في المدن أن تُتخذَ لها الأسوار والخنادق والحصون، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين (الخطيب البغدادي، ٧٨/١؛ وينظر: ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص ٢٨٣؛ ابن كثير، ٢٠٠٩م، ١٩٩٧/٣-١٩٩٨).

ثالثاً: العامل الاقتصادي:

((أبا الدوانيق))* أمير المؤمنين (أبو جعفر المنصور) هو مَنْ اشتهر عبر التاريخ بتقتيره واقتصاده فقد كان يُشِرفُ بنفسه على مالية الدولة ويُنفق منها بحساب ويدقّق في عملية الصرف حتى أطلق عليه الناس هذه التسمية، كان يدرك أهمية النواحي الاقتصادية والتجارية في إنعاش الدولة، وتنمية مواردها الاقتصادية، وبغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية التي تشغل حيّزاً واسعاً في قارتي آسيا وأفريقيا تحتاج أول ما تحتاج إلى موضع مهم يكسب المدينة ميّزة الهيمنة على الطرق التجارية، وموقع مثل (بغداد) الذي كان يُعتبر مركزاً وسطاً بين الأقاليم الإسلامية الشرقية والغربية لابد أنْ تتوافر فيه هذه الهيمنة الممتاز **(العميد، ١٩٨٦م، ص ٣٤٧ ؛ الصالح، د.ت.، ص٣٠٤؛ حسن، ١٩٦٩م ، ٣٦٣/٢).** تحدثنا المرويات التاريخية ، ابتداءً، بأنْ ذُكِرَ للمنصور موقع قريب من (بارما) قرب الموصل وحبّبوه إليه ولكنه اعترض على ذلك وقال: ((صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات، وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الأسعار ولا تشتد فيه المؤونة، فإنيأنْ أقمتُ في موضع لا يُجلب إليه من البر والبحر شيء غَلَتْ الأسعار وقلّت المادة واشتدت المؤونة وشقَّ ذلك على الناس وقد مررتُ في طريقي على موضع فيه مجتمعةً هذه الخصال فأنا نازلٌ فيه وبائت به فإن اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيته)) **(الطبري، ٢٠٠٨م، ٤٨/٨ ؛ وينظر: ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص٢٨١-٢٨٢؛ ياقوت، ٤٥٧/٢؛ الصالح ، ص٣٠٩).**

فهنا تبرز نظرة المنصور الاقتصادية ورغبته في توفير الغذاء الكافي لجنده وللناس الآخرين بأقل التكاليف، مكان تتوافر فيه المواد الغذائية والحاجات الاستهلاكية التي تُجلب من البر والبحر بصورة مستديمة وبأثمان زهيدة، فضلاً عن أن موقع بغداد في وسط العراق، منح المدينة ميّزة تجارية عظيمة فهي تتوسط المناطق الشمالية والجنوبية ما يجعلها سوقاً للبضائع والمنتجات التي تنتج في مختلف المناطق في شمالي العراق وفي جنوبية **(ابن خلدون، ٢٠١٠م، ١٩٤/٣؛ الخضري، ٢٠٠٤م، ص٧٣).**

زيادةً على ذلك فإنها تقع على خطوط التجارة والقوافل فهي تقع على طريق البصرة، بغداد، الموصل، وديار بكر والأناضول وتقع أيضاً على طريق الشام- العراق- الخليج العربي فتمر بها معظم القوافل البرية والنهرية، مما جعل بغداد مدينة ذات موقع تجاري مرموق فيذكر الطبري في حديث صاحب بغداد للخليفة المنصور حين سأله عن الموضع الذي اختاره لبناء المدينة المدورة فقال: ((وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك المياه من أرمينيا وما اتصل بها في تامرا حتى تصب إلى الزاب وتجيئك المياه من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة)) **(الطبري، ٢٠٠٨م، ٤٩/٨ ؛ ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص ٢٨١؛ ياقوت ، ٤٥٨/٢؛ ابن الأثير، ٢٠٠٩م ، ٢٦٢/٥؛ ابن الطقطقا، د.ت.، ص١٦٢؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ٧٩١/٣) .**

ولقد فطن الخليفة أبو جعفر المنصور إلى أهمية موقع بغداد إذْ قال بعد أنْ تفحّص موضع بغداد ((هذا موضع أبني فيه فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجُنْد والعامة إلاّ مثله)) **(الطبري، ٢٠٠٨م، ٤٨/٨؛ ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص٢٨٢؛ ياقوت، ٤٥٨/٢؛ ابن كثير، ٢٠٠٩م، ١٩٩٧/٣؛ الخضري بك، ٢٠٠٤م، ص٧٣).**

رابعاً: العامل الطبيعي أو الصحي:

كان على المنصور يسعى إلى جانب توافر الشروط السياسية والعسكرية والاقتصادية في اختيار مدينته الجديدة المدورة أن يتفحص ملاءمة موقعها من الناحية الطبيعية والمناخية والصحية- وذلك على نهج سلفه الصالح في اختيار مواقع الأمصار الإسلامية الجديدة وتمصيرها كالخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب τوأوامره التي كان يوزعها لقوادّه كسعدِ بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وأبو عبيدة عامل بن الجراح، فأمير المؤمنين أبو جعفر المنصور كان يتوخّى إقامة المدينة الجديدة في موضع سهل منبسط ووجده متمثّلاً هنا في موقع بغداد، والذي يبدو أنّ العرب الذين انحدروا من الجزيرة العربية في فترة الفتوحات الإسلامية والعهود التي تلتها يحبون الإقامة في المواضع المنبسطة السهلة، كما كان يعيش عرب العراق والشام **(ياقوت، د.ت.، ٤٥٨/٢)**.

وموضع بغداد المختار، في المنطقة الواقعة إلى غربيّ نهر دجلة والمحصورة في البقعة التي يقترب عندها النهران الكبيران دجلة والفرات، منطقة سهلة لا يحجزها عارض طبيعي، ومثل هذه الأرض تشبع رغبة العرب والمسلمين الذين اعتادوا السكن، مع فارق توافر المياه والثُرَع الكثيرة في البقعة التي شُيّدث عندها مدينة المنصور المدورة ما يضيف للموقع المختار أهمية جغرافية عالية مضافة أخرى، زيادةً على حرص المنصور في تفحّص الموضع المختار لتشييد عاصمته الجديدة في أنْ يكون مبتعداً عن الأمكنة الموبوءة **(ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص٢٨٢-٢٨٣؛ ؛ ابن الأثير، ٢٠٠٩م، ٢٦٢/٥)**.

فأخذ الخليفة المنصور يسأل (صاحب بغداد) ومجموعة معه ويتقصّى مستفسراً منهم عن مواضعهم ((وكيف هي في الحر والبر، والأمطار والوحول، والبقّ والهوامّ؟ فأخبره كلّ واحد بما عنده من العلم، فوجّه رجالاً من قبله، وأمر كل واحد منهم أنْ يبيت في قرية منها، فبات كل رجل منهم في قرية منها وأتاه بخبرها. وشاور المنصور الذين أحضرهم وتنحّر أخبارهم، فاجتمع اختيارهم على (صاحب بغداد) فأحضره وشاوره وساءَله... فقال: يا أمير المؤمنين سألتني عن هذه الأمكنة وطيبها وما يختار منها؟ فالذي أرى يا أمير المؤمنين أنْ تنزل أربعة طساسيج، في الجانب الغربي طسّوجَيْن وهما: قطربُّل وبادوريا- قرية الكرخ- وفي الجانب الشرقي طسّوجين وهما نهر بوق وكلْوَاذَى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجدب طسّوج وتأخرت عمارته، كان في الطسّوج الآخر العمارات...)) **(الطبري، ٢٠٠٨م، ٤٨/٨، ٤٩؛ ابن كثير، ٢٠٠٩م، ١٩٩٨/٣؛ ابن خلدون، ٢٠١٠م، ١٩٤/٣؛ حسن، ١٩٦٩م، ٣٦٣/٢؛ العميد، ١٩٨٦م، ص٣٤٩، ٣٥٠)**.

هذا فضلاً عن أهمية موقع بغداد جغرافياً وزراعياً فقد حباها الله تعالى بشبكة إروائيةٍ طبيعية من الأنهار الكبيرة – دجلة والفرات كما ذكرنا- أما أنهار منطقة بغداد الغربية فمنها (الرفيل) الذي يأخذ مياهه من الجهة الشرقية، ونهر آخر سُمي في العهد الإسلامي باسم (نهر عيسى) نسبةً إلى (عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس) عم المنصور الذي قام بإعادة حفر أحد فروعه اليسرى - فقد كان يأخذ مياهه من الفرات وينتهي إلى بغداد ويصب في دجلة بعد تفرعّه إلى نهر عيسى الأعظم ونهر الصراة الأعظم وفروعه ونهر (كرخايا) كان يأخذ مياهه من نهر (عيسى) أيضاً وفروعه الرئيسية الأربع (نهر رُزين، ونهر البزازين، ونهر الدجاج، ونهر القلائين) **(ياقوت، د.ت.، ٤٥٨/٢)**، وغيرها من الأنهار مؤلفة شبكة من النهيرات والقنوات الاروائية تسقي أراضي زراعية شاسعة وأقيمت على ضفافهم الأبنية والعمائر الكثيرة **(العميد، ١٩٨٦م، ص٣٤٩، ٣٥٠؛ الموسوي، ١٩٨٢م، ص ١٣٠-١٣١، ١٣٢، ١٣٣)** ، لذا ((فإنّ هواءها أغذى من كل هواء، وماءها أعذب من كل ماء، وأن

نسميها أرق من كل نسيم.. **(الخطيب ، ٩٢/١، ١١١؛ الجهشياري، ص١١٤؛ ابن الفقيه، ص٢٨٤، ٢٩٤، ٣١١؛ ياقوت ، ٤٦١/١، ٤٦٣؛ ابن خلدون ، ٢٩١)** ، يقول الشاعر طاهر بن المظفر بن طاهر **(العميد، ١٩٨٦م، ص٣٢٦، ٣٢٧؛ حسن، ١٩٦٩م، ٣٦٣/٢).**

سقى الله صوب العاديات محلةً ببغداد بين الخلد والكرخ والجسر

هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصحةٍ وماءٌ له طعمٌ ألذُ من الخمرِ))

وزيادة على جميع العوامل التي تم ذكرها في اختيار موضع بغداد - كان هناك سبباً نفسياً عارضاً اطمئن له المنصور وهو يتفحّص ويعاين المنطقة التي يروم تأسيس (مدينته) عليها استبشر منها خيراً وقرر على إثرها في الحال تخطيط مدينته ووضع حجر الأساس الأول لها ألا وهو علمٌ لراهب دير عالِم قال إنّ: إنّ مَنْ سيبني المدينة هنا رجلاً يدعى (مقلاص).

يقول علي بن يقطين: ((كنتُ في عسكر أبي جعفر المنصور حين سار إلى الصراة يلتمس موضعاً لبناء بغداد.... فقال لي – الراهب- لِمَ يذهب الملك ويجئ؟ قلت: أنه يريدُ أنْ يبني مدينة؛ قال: فما أسمه؟ قلت: عبد الله بن محمد، قال: أبو مَنْ؟ قلت: أبو جعفر؛ قال: هل يلقب بشيء؟ قلت: المنصور، قال: ليس هذا الذي يبينها، قلت: ولِمَ؟ قال لأنّا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه عن قرن أنّ الذي يبني هذا المكان رجل يُقال له مقلاص، قال: فركبت من وقتي حتى دخلتُ على المنصور... فقال لي ما وراءك؟... قلتُ يا أمير المؤمنين أنّ هؤلاء معهم علم، وقد أخبرني راهب هذا الدير بكذا وكذا، فلما ذكرت له مقلاص ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد وأخذ سوطه وأقبل يذرع به، فقلت في نفسي: لحقه اللجاجُ، ثم دعا المهندسين من وقته، وأمرهم بخط الرماد، فقلت له: أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتكذيبه، فقال: لا والله ولكني كنت ملقّباً بمقلاص- في صغري- ولا أظنُ أنّ أحداً عرف ذلك غيري....)) **(ياقوت، ، ٤٥٨/١-٤٥٩؛ وينظر: ابن الفقيه، ٢٠٠٩م، ص٢٨١، ٢٨٥؛ ابن الأثير، ٢٠٠٩م، ٢٦٢/٥؛ ابن الطقطقا ، ص١٦٢؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ٧٩٢/٣) .**

وما أنْ استقر رأي المنصور في اختيار موضع بغداد إلاّ وقد جنّد كافة الخبرات المتاحة في مملكته، يومذاك، لإنجاز مشروعه الكبير فاستدعى إليه من كل بلد من بلدان دولته المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم، حتى اكتملت في أجمل حُلّة **(ياقوت ، ٤٥٨/١-٤٥٩ ؛ ابن الفقيه، ٢٠٠٩م)**، وانتقل إليها المنصور سنة (١٤٦هـ/٧٦٣م) ونقل إليها الخزائن والدواوين وبيوت الأموال **(الذهبي، ٢٠٠٣م، ٧٩٢/٣)** ، ومضت قدماً في العلوم والتطور والعمارة والفنون الجميلة، وكعبة العلم والعلماء، وغدت من أهم الأمصار الإسلامية واحتلت مكان الصدارة في الحضارة والنشاط التجاري والاجتماعي والفكري، حتى أضحت قطب الحضارة العربية الإسلامية وأحلام الحالمين بليلةٍ وألف ليلة، يقول الشاعر في بغداد وأهلها **(ابن الخطيب، ١٩٣١م، ٣٧٥/١-٤٥٠؛ الجهشياري، ١٩٣٨م ، ص١٠٠) :**

ما مثلُ بغدادَ في الدنيا ولا الدينِ على تقلُّبِها في كلّ ما حينِ

ما بين قطربل فالكرخ نرجسةٌ تندى ومنبتُ خيريٍّ ونسرين

بەغدا پایتەختی دەوڵەتی ئیسلامی عەرەبی سەردەمی عەبباسییەکان / هۆکارەکانی هەڵبژاردنی شوێن و بەردەوامی

دکتۆر مەها ئەسعەد عەبدولحەمید تەها ،- زانکۆی عێراقیە / کۆلێژی پەروەردەی کچان / بەشی مێژوو

پوختە

بابەتی هەڵبژاردنی (بەغدا وەک پایتەختی دەوڵەتی ئیسلامی عەرەبی لە سەردەمی عەبباسیدا / هۆکارەکانی شوێن و بەردەوامی) بە یەکێک لە دیاردە مێژوویی گرنگەکان دادەنرێت کە پێویستە توێژەران لێی بکۆڵنەوە بۆیە لەبەر گرنگی ئەم دیاردەیە دەستم کرد بە گەڕان بەدوای ئەو هۆکار و پاڵنەرانەی کە بوونە هۆی ئەوەی بەغدا ئەم سوودانە بەدەست بهێنێت و وای لە خەلیفەی عەبباسی ئەبو جەعفەر مەنسور کرد کە ئەو پایتەختە دابمەزرێنێ و دواتر هانی خەلیفەکانی دیکەم دا کە پایتەختەکەیان بپارێزن سەرەڕای ئەوەی بە هۆی هەلومەرجێکی دیاریکراوەوە بۆ ماوەیەکی کاتی لێی دوور کەوتوونەتەوە. چەندین هۆکاری سیاسی، جوگرافی، ئابووری، کۆمەڵایەتی، تەندروستی و چەند هۆکارێکی تری تێدابوو. بەم شێوەیە ئەم توێژینەوەیە لە نێوان سەرچاوە مێژووییە سەرەتاییەکان و سەرچاوە مۆدێرنەکاندا جوڵایەوە و بەدوای هۆکارەکانی ئەم دیاردە مێژووییەدا دەگەڕێت و لێکۆڵینەوەی لەسەر دەکات بەمەبەستی قوڵکردنەوەی پەیوەندی نەوەکان بە ڕابردووی شکۆداریانەوە. وشە گرنگەکان: بەغدا، پاڵنەری سیاسی، ئابووری، سەربازی و تەندروستی.

Baghdad, the capital of the Arab Islamic state during the Abbasid era / Reasons for its location choice and continuity

.Professor Dr. Maha Asaad Abdul Hamid Taha
Iraqi University / College of Education for Girls / Department of History

Abstract :

The idea of choosing (Baghdad as a Capital of the Arab Islamic country in the Abyssinian era/ it's placement reasons and continuity) represents one of the fundamental historical phenomenon which the researchers should focus on it. Accordingly, the researcher dig deep on the reasons behind the features that had been carried by Baghdad, and motivated the Abyssinian Caliph Al-Mansour to make it as his own capital (and then the caliphs whom followed him as well) in spite of the moving away from it for some time and circumstances. So there were many political, economic, geographic, social reasons and many others (which would be discussed throughout the research). Herewith, the research studied the reasons and motivations depending on many selected references.

Key words : Baghdad, political, economic, military and medical motivations.

JSH p-ISSN: 1813-0852, e-ISSN: 2617-3034